الصراع الاسرائيلي الفلسطيني في حالة كمون، ومن اعتباره أن المكاسب الاصلاحية التي جناها العرب، مهما ازدادت، انما تدفع بهم نحو تجذر صراعهم السياسي «ما داموا محرومين من المكسب الجوهري وهو التحكم في مصيرهم»، مضيفاً الى ذلك ملاحظة أخرى تتعلق بـ «ظهور جيل فلسطيني لم يعش سوى تحت الاحتلال الاسرائيلي، ولا يحلم الا بشيء واحد هو اقامة دولة فلسطينية تحت قيادة م.ت.ف.» (ص ٢٠١).

وهكذا ينتقل، في الصفحات الاخيرة من كتابه، الى التحدث عن ممانعة بدت مغيّبة، منهجياً، على امتداد فصول الكتاب، وتكمن في الاستراتيجية الفلسطينية المضادة التي تستغل تناقضات الاستراتيجيات الاسرائيلية، فتعقد اتصالات بقطاعات اسرائيلية عدة وتستخدم الرأي العام الاسرائيلي والانفتاح النسبي للنظام الاسرائيلي، لابراز خياراتها الوطنية، فضلاً عن التفافها حول قيادة وطنية، في الداخل، موالية لـ م.ت.ف. ومحاربة للمتعاملين مع اسرائيل، بلا هوادة.

ومع ذلك، فان ديكوف ينهي استنتاجاته حول احتمالات المواجهة بهذه النظرة القاتمة التي ترد في الصفحة الاخيرة من الكتاب (٢٠٣): «ان السوابق التاريخية للنزاع اليهودي ـ العربي الطويل، والمقارنات التاريخية بمجتمعات تعددية أخرى، لا تبعث على التفاؤل؛ اذ يبدو ان النزاعات القومية لا تجد حلاً بل تجد نهايات. وهي لا تجد حلاً، لأن الوضع يكون بالغ التعقد والمخاطر، ومتناقض الاهداف، فلا يغدو من الممكن تجاوز الصعوبات، باستخلاص أصغر قاسم مشترك، تتحلق حوله الاطراف المتنازعة.

«أما وجود خاتمة، فهو أمر ممكن، لأن استمرار النزاع يجر الطرفين الى حلقة دائمة من العنف والارهاب والقمع، الى ان ينتهي النزاع بانتصار البعض وهزيمة البعض الآخر، أو انهاك الطرفين معاً».

محمد علي اليوسفي